الباب الثالث

أَخبارُ الحُكَمَاءِ

obeikan.com

1 - خَبـــرُ اســـقِلْبْيُوسَ الحَكِـــيْمِ.

2 - خَبَـــرُ سُـــوْلْوْنَ الحَكِـــيْمِ.

3 - خَبَـــرُ زِيْنُـــوْنَ الحَكِـــيْمِ.

4 - خَبَـــرُ فِيْثَـــاغُورسَ الحَكِـــيْمِ.

5 - خَبَـــرُ ذِيُوْجَـــانِسَ الحَكِـــيْمِ.

6 - خَبَـــرُ سُـــقْرَاطَ الحَكِـــيْمِ.

7 - خَبَـــرُ أفْلاَطَـــوْنَ الحَكِـــيْمِ.

8 - خَبَـرُ أرِسـطَوْطَالِيْس الحَكِـيْمِ.

9 - خَبَـــرُ لُقْمَـــانَ الحَكِـــيْمِ.

10 - خَبَـــرُ العَزِيْـــر الحَكِـــيْمِ.

11 - خَبَـــرُ سُـــطَيْحٍ الحَكِـــيْمِ.

obeikan.com

obeikan.com

1 ــ خَبَرُ اسْقِلْبْيُوسَ الحَكِيْمِ

كان تلميذاً للنبي هرمس عليه السلام، وكان ينتقل معه في البلاد ولمّا خرج هرمس مع تلميذه اسقلبيوس من بلاد الهند إلى بلاد فارس، مروراً ببابل خلَّفَهُ هرمسُ فيها ليضبط الشرع فيهم.

ولمّا صار في آخر عمره اعتلَّ ومرض مرضاً شديداً، فاجتمع إليه جماعة من الحكماء لعيادته، فلمَّا رأى اجتماعهم عَلِمَ أنّ الهياكلَ والمعابد قد خَلَتْ منهم فقال لهم: أهذا ما كنتُ أوصيكم به، وأنهاكم عنه؟ لكنَّ اللّهَ هو المستعان عليكم، قد استعملتم الآراء الفاسدة لينفردَ كلُّ واحدٍ منكم بشيءٍ ويحصلَ له شرفٌ ليكون له فيه مرتبة، وأطعمتم جاهلاً من ملوككم، واخترتم الدنيا على الآخرة، ولو كنتُم تسلكون ما جاءَ به مَن اصطفاهُ اللّهُ جلَّ اسمه واتّخذَهُ رسولاً إليكم، مُرتِّباً لشرائعكم نبيّ اللّه (إدريس: هرمس) كان أولى وأحمد عاقبة.

وقال لهم مَرَّةً: عهدي ذات ليلةٍ ونحنُ بحضرةِ النبيّ الأعظم (إدريس) ـ شركنَا اللّهُ في صالح دُعائِه ـ ونحنُ على أثرِ ما كُنَّا عليه من العبادة للذي تجبُ علينا عبادته، إذ دخلَ علينا غِلمانٌ بأطباقِ هدايا حَسَنةِ المنظر، فعرضوها عليه فردّها ووضع خدَّه على الأرض وهو يقول: ربِّي أعطوني ما ليس لي، فخذهم بما جَنُوا على أنفسهم وعَليَّ، وغيِّرْهُمْ ولا تجمعْ لهم شملاً. فواللّهِ لقد غيَّرهُم اللّهُ وشُتِّتُوا فما اجتمعوا بعْدَها.

وكان اسقلبيوس الحكيم يقول: مَنْ عَرَفَ الأيَّامَ لم يغفلِ الاستعدادَ. وإنَّ أحدَكُم بين نعمةٍ مِنْ بارئِهِ وبين ذنبٍ من عمله، وما يُصْلِحُ ما بين الحالتين إلاَّ الحمدُ للمُنْعِمِ والاستغفارُ من الذنبِ.

وكم من دَهْرٍ ذَمَمْتمُوهُ، فلمَّا صِرْتُم إلى غيرهِ حمدتُمُوه! وكَمْ مِنْ أمرٍ يُغْضِبُ في أوائِلهِ ويُبْكِّي عند أواخره عليه!

والمتعبِّدُ بغير معرفةٍ كَحمَّال الطاحونة: يدور ولا يبرح ولا يدري ما هو فاعل.

وقِيل له: صِفْ لنا الدنيا.

فقال: أَمْسِ أَجَلٌ وغداً أملٌ، واليومَ عَمَلٌ.

وقال مرّة: المُشْفِقُ عليكم يسيءُ الظنَّ بكم، والزاري[1] عليكم كثيرُ العيبِ لكم، وذو البغضاء لكم قليلُ النصيحةِ لكم.

والحمْدُ للّهِ العَزِيْزِ الحَكِيْمِ

(1) الزَّاري: زَرَى عَلَيْهِ أي عَابَهُ واستهزَأَ به. والزَّاري هُوَ الَّذي لاَ يُعِدُّ غَيْرَهُ شَيْئَاً وَ يُنكِرُ عَلَيْهِ فِعْلَهَ.

obeikan.com

2 ــ خَبَرُ سُوْلُوْنَ الحَكِيْمِ

هو سولون بن اكسيكاسطنيديس الحكيم، وُلِدَ في سلاميس، وكان من أهل أثينا مدينة الحكماء. ثمّ تسلَّمَ المُلْكَ فيها، كان لَسِنَاً لطيفَ الكلامِ أبيضَ الشعر، أزرقَ العينين، أقنى الأنف مستطيل اللحية، خميص البطن منحني الأكتاف حلو المنطق، على ذراعه الأيمن خالٌ كبير سمّاه أهل أثينا (المُفرِّج). سار إلى مصر ولبث بها حيناً وسمع من الكهنة حِكَمَاً كثيرة وتعلَّم أشياء غامضة.

وضعَ كُتباً كثيرةً فيها المواعظ والحِكَمُ المتعددّة الوفيرة، ووضَع الشرائع لأهل أثينا ونقض بها نواميس ذراقون المارق، ولم ينقض النواميس التي جاءتهم من فونيكس. ووضعَ كتاباً فيه الأشعارُ المنشِّطةُ إلى قتال الأعداء وذلك لحاجة كانت في ذلك العصر.

كان سولون (صاحب الشرائع) أحد الحكماء السبعة الذين عاشوا في وقتٍ واحد وهم: تاليس،سولون، بطّاقوس، باريأندروس، خيلون، قلاوبولوس، بياس.

وقد حَدَثَ أنّ فتيةً مرُّوا يوماً بصيادٍ فأعطوه قطعة نقدية وقالوا له: ألقِ الشبكة في الماء، وما أصعدتْهُ ببختهم فهو لهم. فأخذ المالَ وطرح الشبكة في الماء فأصعدتْ تمثالاً صغيراً من الذَّهَب، فأزمع[1] الصياد على منعهم إيّاه واحتجَّ عليهم بأنَّه اتّفق معهم على إخراج السمك وليس المال والذهب، فاحتجّوا عليه أنّه شَرَطَ على نفسِهِ أن يُطْلِعَ لهم ببختهم ما طَلَعَ. فلمَّا طالت المشاجرة اتَّفقوا على أن يفوّضوا أمرهم إلى الله فما أمرهم به نفَّذُوه، فأوحى إليهم أن ينطلقوا إلى الحكماء السبعة ويقبلوا حُكْمهم، فأتوا بالتمثال إلى تاليس فوجَّهَ به إلى بياس الحكيم وقال لهم: إنَّه أحكمُ منِّي فبعث بياس بالتمثال إلى الحكيم الثالثِ، والثالثِ إلى الرابعِ، فلم

(1) أزْمَعَ : نَوَى وَقرَّرَ في دَاخِلِهِ .

يزلْ كل واحد يرسله إلى الآخر حتّى جَازَ على السبعة، فردّه السابعُ إلى سولون فأجابَ بأن يُجعَل التمثالُ في هيكل الإله، فوُضِع في هيكل أفولون (أبولو).

كان سولون جَدَّاً لأفلاطون الحكيم من جهة أمِّه، مات بأرض غربةٍ هارباً من حُكم بسيطراطوس الملك الظالم وله من العمر سبعون سنة رحمةُ اللّه عليه.

سُئِلَ مرّةً: أيّما أحمدُ في الصِّبَا: الخوف أم الحياءُ؟

فقال: الحياءُ لأنّه يدلّ على عَقْلٍ، والخوفُ يدلُّ على لُؤْمٍ.

وسُئِلَ عن أصعبِ الأشياء على الإنسان، فقال: أن يعرفَ نَفْسَهُ ويكتُم سرَّهُ.

وقال مرّةً: أمور الدنيا والدين تحت شيئين، أحدهما تحت الآخر، وهما السيف والقلم، والأول تحت الثاني.

وسُئِل مرّة لِمَ لم تذكرْ في شريعتِكَ عقوبة مَنْ قتل أباه؟

فقال: لم أظنّ أن هذا شيءٌ يكونُ.

وقال لرجلٍ من الأغنياء: أمَّا مالي فلا يمكنُ أن يصيرَ في وقتٍ من الأوقاتِ لأحدٍ من غير إرادتي وإذا أعطيتُهُ بقيَ عندي بلا نقصان، فأمّا مَالُكَ فإنَّهُ يصيرُ لغيركَ وإن أعطيتَ منه شيئاً نقص، ولا فرقَ بينه وبين الفصوص التي يُلْعَبُ بها إذ كانت تتقلّبُ جوانبها لكل واحدٍ من اللاعبين بالإتفاق.

وسُئِل: كيف تُتَّخَذُ الأصدقاءُ؟

فقال: أن يُكْرَمُوا إذا حَضَرُوا ويُحْسَنَ ذِكْرُهُم إذا غابوا. وأصيب ابنه بمكروهٍ، فجعل يبكي، فقال له رجلٌ: وَمَا يَنْفَعُ البكاءُ وأنتَ حكيمٌ؟

فقال: لأجلِ هذا أنا أبكي.

وقيل له: كيفَ يكونُ صَلاحُ المُدُنِ؟

فقال: إذا عَمِلَ الرؤساءُ العِظَامُ بالسُّنَنِ والشرائع، لم يَجِدْ مَنْ هو دونهم بُدَّاً أن يسيرَ سِيْرتَهُمْ.

والحَمْدُ للّهِ العَلِيْم الحَكِيْم، وَمَنْ يُؤْتى الحِكْمَةَ فَقَد أُوْتِيَ خَيْرَاً عَظِيْمَاً.

3 ــ خَبَرُ زِيْنُوْنَ الحَكِيْمِ

هو زينون بن طالوطاغورس من أهل إلياطيس، كانَ تلميذاً لإمباذوقليس كان كامل الأدب، شديد الحماية، خلَّف كتاباً واحداً في علم الطبيعة.

يعتبر زينون مخترع علم الديالكتيك أو كما يُسمَّى (الغوامض)، وهو رجلٌ أسمر، معتدل القامة، حَسَن الصورة، على خدّه خال، رافع رأسه إلى العلو، ذو أدب كثير، حلو المنطق، جيد العقل مات وله ثماني وسبعون سنة.

قال مرَّةً لتلامذته إن ذَهَبَ منكم شيءٌ فلا تقولوا ذهَبَ منَّا، ولكن قولوا رددناه، لأنّه لو كان لكم كنتُم مالكوه منذ كنتم، بل تمتَّعوا به إذا عندكم كالإنسان الساكن في داره إذا نزل فيها فهي له بيت وإذا خرج عنها فهو غريب عنها.

وأتاه رجلٌ فأعلَمَهُ أنَّ ابنه قد توفي، ولم يكن له ابنٌ غيره، فقال: لِمَ يؤخذ عليَّ أن وَلَدتُ ولداً ميّتاً، لا غيرَ ميِّت. فلا تخفْ موتَ البدن، ولكن خفْ موت النفس.

فقيل له: ولِمَ قلتَ ذلك والنفس الناطقة عندك لا تموت؟

فقال: إذا انقلبت النفس الناطقة من حَدّ المنطقي إلى حدّ البهيميّ ـ وإن كان جوهراً لا يبطل ـ فإنّها قد ماتت من العيش العقلي.

وإنّ حياة النفس عالية رفيعة بعيدة عن الموت، ولن تقع النفس في يد الموت إلاّ أن تدعوه إلى ذاتها وتُبدي له كامِنَها وتمكِّنُهُ من عيبها فيعلم بذل كيف يتشبث بها.

ورأى فتىً محزوناً على شاطئ البحر يتلهَّف على الدنيا، فقال له: يا بُنيَّ! ما تلهُّفك على الدنيا؟

أرأيتَ لو كُنْتَ في غاية الغنى وأنتَ راكبٌ في البحر وسط اللجَّةِ[1] وقد أشرفتَ أنتَ ومالُكَ على الغرق، هل كان غايتك إلا النجاة بنفسك؟

---

(1) اللُّجَّةُ: مَاءُ البَحْرِ الكَثِيرِ الوَاسِعِ المُضْطَرِبِ الأَمواجِ .

قال له الفتى: نعم.

وقال له: وكذلك لو كنتَ ملكاً وقد أحاط بك عدوّك ومن يريد قتلك وأخذ مَالِكَ وملكك، هل كانت غايتك إلاَّ النجاة بنفسك من القتل؟

قال: نعم.

قال زينون: فأنتَ المَلكُ وأنت الغنيّ الذي نجوت من البحر، فامتنع عمّا تفعله واقنع بما أنتَ عليه.

وكان يقول: لا ينبغي للعاقل أن يتزوج امرأة حسناء، فإنّها يكثر عشّاقها وتزهو على زوجها.

وقال: محبّةُ المالِ بَدْءُ البشرّ، وذلك أنَّ سائر الشرور متعلّق بمحبَّةِ المالِ.

والحَمْدُ للّهِ العَزِيْزِ الحَكِيْم.

4 ــ خَبَرُ فِيْثَاغُورسَ الحَكِيْمِ

هو فيثاغورس بن منيسارخوس من أهل مدينة (صور)، وكان له أخوان الأكبر هو أوتوسطوس، والآخر طورينوس، وأمُّه هي بوثانس بنت أجقايوس من سكان مدينة (ساموس). وعندما تغلّب على صور قبائل محتلّة هاجر والد فِيْثَاغُورسَ إلى ساموس ملتمساً كَسْبَاً وعَيْشاً فأقام فِيْثَاغُورسُ مع أهله عند أخواله. وحَدَثَ أن زار فِيْثَاغُورسُ مع والده إيطاليا فأحبَّها ثمّ عاد بعد أن كبر وسكَنَها.

وفي ساموس تكفَّل رئيسُ الحُكماءِ فِيْثَاغُورسُ منذ صغره وعلَّمه الموسيقا والآدابَ واللغةَ، ثمّ وجَّهَ به إلى ملطية وأسلمه إلى الحكيم (أنا كسيماندروس) ليعلّمه الهندسة والمساحة والنجوم، فلمَّا أتقن فِيْثَاغُورسَ هذه الصناعات اشْتدَّ حبُّه للعلوم والحكمةِ، فسافر بلداناً عديدة طالباً الحكمةَ القديمة، فقصد مصر الفرعونية وعاشر الكهنة وتعلَّم منهم الحكمة وحَذِقَ لُغتَهم وأتقن كتابتَهم وخطَّهم بأشكاله الثلاثة[1]، ثمّ ترك مصر وقصد هرقلة وصاحَبَ ملكها فترة من الزمن، ثمّ تركها متوجِّهاً إلى بابل وخالط حكماءها وتعلَّم على يد كبير حكماء بابل (زراباطا) عِلْمَ الطبيعة (سَمَاع الكيان) واطّلَعَ على كتاب (أوائل الكلّ) لأرسطو فكمُلَتْ فضائل وحِكَمُ وعلومُ فِيْثَاغُورسَ.

ثمّ قصد سورية وأخذ عن الحكيم (فاراقوديس)، ورجع إلى ساموس ودرسَ على يد الحكيم (قراقوليو)، ثمّ اشتاق إلى مصر فذهب إليها وقصد مدينة (عين شمس) بعد أن كتب إلى ملك مصر الفرعون (أماسيس) لكنّ الكهنة استقبلوه مُكْرَهِين لذلك أخذوا في امتحانه زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا تقصيراً، ثمّ وجّهوا إلى كهنة (مَنَف) كي يبالغوا في امتحانه فامتحنوه امتحاناً قاسياً فلم يجدوا

---

(1) كان في مصرَ خطٌّ خاصٌّ بالكهنةِ ويُسمى الهيْروغليفيّة وخَطٌّ العَامَّةِ ويُسَمّى الديموتيقيَّة، وَخط الملوك .

عنده مَعِيباً ولا أصابوا له عثرة يستطيعون من خلالها وضع الحجّة عليه لإبعاده عن مصر، فبعثوا به إلى أهل (ديوسبولس) وعندما لم يجدوا طريقاً إلى إدحاضه عرضوا عليه فرائض صعبة مخالفة لفرائض اليونانيين كيما يمتنع عن قبولها فتكون لهم حجّة في إبعاده وكلّ ذلك خوفاً على مكانتهم عند الملك بعد أن رأوا من علومه ومعارفه ما رأوا، لكنّ فِيْثَاغُورسَ قَبِلَ فرائضهم فاشتدَّ إعجابهم منه، فلمَّا وصل خبره إلى الملك زاد إعجابه به فمنحه من المكانة ما لم تعط لغريب عن مصرَ مِنْ قَبْلُ.

ثمّ عاد بعد مدّة من إقامته في مصر إلى ساموس وبنى له منزلاً كان يعلّم الناسَ فيه، فتوافد الناس عليه من كلّ حَدْبٍ وصوب يأخذون من علومه وحكمته. وكان له خارج المدينة مغارة يأوي إليها للعبادة مع بعض أصحابه المقرَّبين.

ولمَّا أتتْ عليه أربعون سنة وهو مازال في ساموس وحيث أنّ ملكها كان طاغياً ولم يستطع فِيْثَاغُورسُ أن يغيِّرَ أيَّ شيء فرحل إلى إيطاليا ومنها إلى قراطونيا فلمَّا رأى أهلُها حُسْنَ منطقه ونبلَهُ ومنظرَهُ، وسَعَةَ علمِهِ وصِحَّةَ سيرتِهِ مع تكامل خصاله وفضائله انقادوا له انقياداً أعمى، فألزمهم سيرة القدماء ووعظهم بالصالحات واجتمع النساء مع الرجال لسماع حِكَمِهِ ومواعظه فعَظُم مجدُهُ، وكَبُرَ شأنُه وانتشر خبرُه حتّى أنّ عامَّة الملوك وَرَدُوا عليه وسمعوا حِكَمه وعلومه.

وكان غذاء فِيْثَاغُورسَ عسلاً وسمناً، وعشاؤه خبز شعير وبقولاً نيّئةً ولم يكن يأكلُ من اللحم إلاَّ ما كان من أضحية الكهنة ممّا يُقرّب للّه تعالى فلمَّا صار هو رئيس الكهنة أصبح يتغذّى بالأطعمة البسيطة غير المجوّعة وغير المعطّشة.

وحَدَث ذات يوم أن قامَ رجلٌ من أهل قرطونيا اسمه قولون وتطاول على فِيْثَاغُورسَ متكبّراً بمالِهِ وحسبهِ وجاههِ وتغطرسه، فقام فِيْثَاغُورسُ بزجره أمام الناس ودعاه للتأدّب لخلاص نفسه، فحقد قولون على فِيْثَاغُورسُ وأزمع على قتله، وعندما اجتمع فِيْثَاغُورسُ بأصحابه مودِّعاً لهم قبل سفره هجم قولون المتكبّر مع رجاله عليهم وقتلوا منهم أربعين شخصاً وهرب الباقون، فصار قولون يبحث عنه لكن أصحابه أخرجوه إلى لوقروس، وكان قولون قد نشر الأكاذيب عن

فِيْثاغُورسَ واتهمه بالكفر فلمَّا وصل فِيْثاغُورسُ المدينة ذهب إليه بعض مشايخها وقالوا له: (أمَّا أنت يا فِيْثاغُورسَ فحكيم فيما نرى، وأمّا الشناعة عنك فقبيحة جدّاً، لكنّنا لا نجدُ في نواميسنا ما يلزمك بالقتل، ونحن متمسّكون بشرائعنا، فخُذْ مِنّا ضيافتَكَ ونفقةَ طريقك وارحل عن بلدنا بسلام).

فرحل عنها إلى (طارنطا) فوجد قوماً من أهل (قرطونيا) فكادوا أن يخنقوه لكنّه هرب إلى (ميطابونطيون) مع بعض أصحابه وتكاثرت الهيوج في البلاد بسببه، فدخل هيكل (الأشنان) فتحصَّن فيه وأصحابه، ولبث فيه أربعين يوماً، لكن جماعة قولون ضربوا الهيكل بالنار فلمَّا أحسَّ أصحابه بذلك عمدوا إليه فجعلوه في وسطهم وأحدقوا به ليوقوه النار بأجسادهم، وعندما امتدّت النار في الهيكل وصلت إلى الجميع فماتوا ومات فِيْثاغُورسُ معهم رحمة الله عليه، تاركاً خلفه مئتين وثمانين كتاباً، وكان نقش خاتمه: (**شَرٌّ لا يَدُومُ خيْرٌ من خيرٍ لا يدومْ**). وكان فِيْثاغُورسَ يقول:

كما أنّ بَدْءَ خلقنا ووجودَنا من اللهِ تعالى، هكذا ينبغي أن تكون نفوسُنا منصرفةً إلى اللهِ. وإن أحببت أن تعرفَ الله سبحانه وتعالى فلا تصرفْ عنايتك إلى معرفة الناس، فإنّه قد يمكنك أن تعرف الله باليسير من الكَلِم، وليس لسانُ الحكيمِ متقدّماً عند الله تعالى بالتكرمة ولكن أفعاله وأعماله.

وقال: الحكمة لله خالصة فمحبَّتُها متّصلة بمحبة الله تعالى ومَنْ أحبّ الله تعالى عَمِل بمحابِّهِ، ومَنْ عمل بمحابِّه قَرُبَ منه ومَنْ قرُبَ منه نجا وفاز، وليس الضحايا والقرابين كرامات لله تعالى ذكره لكن الاعتقاد الذي يليق به يكتفى به في تكرمته، وليس لله تعالى في الأرض موضعٌ أولى به من النفس الطاهرة. وما أنفع للإنسان أن يتكلّم بالأشياء الجليلة النفيسة، فإن لم يمكنه فليسمع قائلها.

وقال: لا تدنِّسْ لسانك بالقذْفِ، ولا تصغِ بأذنيك إلى مثل ذلك.

وقال: لا تساعد عينيك للنوم قبل أن تتصفَّحَ الأفعال التي فعلتها في نهارك فتقفَ على الموضع الذي زَلَلْتَ فيه بما ينبغي أن كنْتَ زللْتَ وعلى ما فعلته مما كان ينبغي أن لا تفعله، وعلى ما كان ينبغي أن تفعله ولم تفعله فمتى كُنْتَ قد أتيتَ مكروهاً

فليُذْعِرَنَّكَ، ومتى كُنْتَ قد أتيت رضياً، فليبهجنَّكَ فإنَّ ذلك يوطِئُ لك ما يقرّبك إلى الفضيلة الإلهية.

ونظرَ مرَّةً إلى رجلٍ عليه ثياب فاخرة يتكلَّم فيَلْحَنُ[1] في كلامه فقال له: أمّا أن تتكلَّم بكلامٍ يشبه لباسك، أو تلبسَ لباساً يشبه كلامك.

والحَمْدُ للّهِ العَزِيْزِ الحَكِيْم.

(1) يَلْحَنُ: لَحَنَ القَارِئُ في القراءةِ، وَالمُتَكَلِّمُ في كَلَامِهِ، أيْ أَخْطَأَ في الإِعْرَابِ وَخَالَفَ وَجَهَ الصَّوَابِ في اللُّغَةِ.

obeikan.com

5 ــ خَبَرُ ذِيُوْجَانِسَ الحَكِيْمِ

هو ذِيُوْجَانِسَ بن دقليديوس، من أهل أثينا، كان حكيم أهل زمانه زاهداً متجرّداً من مُتَعِ الدنيا حتّى لُقِّبَ بـ (المتجرّد)، متخلّياً لا مسكنَ له ولا مأوى إلاَّ حيث أجَنَّهُ الليل[1] يصدُقُ على نفسه ويرفعها عَمَّا ينحطّ إليه الملوكُ والسُّوْقَةُ[2]. فقنِعَ بثوبين من الصُّوفِ فلم يَزَلْ ذلك حَالُهُ إلى أن فَارَقَ الدُّنْيَا.

أرسله أهل أثينا إلى الاسكندر المقدوني برسالةٍ، ففَضَّها عليه فقال الاسكندرُ: ما الذي يرضيهم عنِّي؟

فقال: لا أحسَبُ يرضيهم عنك إلاَّ موتُكَ.

ومَرَّ به الاسكندرُ ذات مَرَّةٍ فوجده جالساً في مكانٍ يطلبُ فيه الشمسَ في يوم شتائي، فقال له: سَلْ مَا حاجَتُكَ؟

فقال: حاجتي إليك التنحِّي عَنِّي كي تصلَ الشمسُ إليَّ.

وقيل له: لو اتَّخذتَ لك بيتاً تأوي إليه ليلاً وتستريح فيه نهاراً!

فقال: إنّما إلى البيتِ يحتاجُ مَنْ قَصَدَ الاستراحةَ، وأنا استرحتُ إذ ليس لي بيت يشغلني ويبعدني عن غايتي.

ورأى رجلين صديقين حميمين، فلمَّا سأل أحدهما عن الآخر، قال له: هو صديقي وأعزّ عليّ من روحي.

فقال له: وَلِمَ أنتَ غنيٌّ وهو فقيرٌ.

سُئِل: كيف ينبغي للإنسان ألاَّ يغضب؟

---

(1) أجَنَّهُ الليل : يُقَالُ جَنَّ الليلُ أيْ أظلَمَ، وَأجَنَّهُ الليلُ أيْ أدْرَكَهُ بَعتْمَتِهِ وَظُلْمَتِهِ .

(2) السُّوقَةُ : الرّعِيَّةُ مِنَ الناسِ وَأوْساطُهُم .

قال: فليكن متذكّراً في كلّ وقتٍ أن ليس يجب أن يُخْدَمَ فقط، بل وأن يَخْدُمَ، وأنّه ليس يجب أن يُطَاعَ فقط بل وأن يُطيعَ، وأنَّه ليس يجب أن يُحْتَمَلَ بل وأن يَحْتَمِلَ، وأنَّه ليس يجب أن يُصْبَرَ عليه بل وأن يَصْبِرَ، فإنَّه إن فَعَلَ ذلك قَلَّ غَضَبُهُ.

ودخَلَ إلى الاسكندر المقدوني فوجد عنده شاعراً يمدحُهُ، فأخرج خبزاً كان في جيبه وأقبلَ يأكلُ.

فقيل له: ماذا تعمل ألاَ تستمعُ للشاعر في مَدْحِهِ الاسكندرَ؟

فقال: أصنعُ ما هو أنفع من استماع الكذب.

فأمرَ الملكُ لبعض الجماعة وللشاعر بأوانٍ فضيَّة وله بمثل ذلك، فأبى أن يأخذها، فقال له الملكُ: الكلبُ إذا ضَرَبَهُ صَاحِبُهُ اتَّبَعَهُ.

فقال: أيُّها الملكُ! إذا ضَرَبَهُ صَاحِبُهُ نَفَرَ منه، وإذا جوَّعَهُ لوَّح له غيره بخبزٍ فتبعه، ومن جَمَعَ لرعيّته مع المحبّة رأياً صالحاً، جمعوا له مع المحبَّةِ الطاعةَ.

وشَتَمَهُ رَجُلٌ فَظٌّ أمام جماعةٍ، فقيل له: لِمَ لا تغضبِ؟

فقال: لَسْتُ أغالِبُهُ بأمرٍ، الغالبُ فيه أذْلَلُ الفريقين، بل قد نَطَقَ بما فيه فكلُّ إناءٍ ينضحُ بما فيه، ثمّ فإنَّ كلامَهُ لا يخلو من وجهين: إمّا أن يكونَ صادقاً أو كاذباً، فإن كان صادقاً فما ينبغي لي أن أغضبَ عليه من الحقِّ، وإن كان كاذباً فبالحَرِيِّ أن لا أغضب إذا لم أكنْ على ما قال.

6 ــ خَبَرُ سُقْرَاطَ الحَكِيْمِ

هو سُقْرَاطُ (سُقْرَاطيس) بن سقرونسقس، وُلِد ونشأ ومات بأثينا، ومعنى اسمه سُقْرَاطيس: (المعتصم بالعدل)، ولَمَّا أُلْزِمَ التزويجَ على عادة اليونانيين بإلزام الأفاضلِ الزواجَ ليبقى نسله بينهم، طَلَبَ الزواج بامرأةٍ سَفِيْهَةٍ[1] لم يكن لها شَبَهٌ في السلاطة والحُمْقِ ليعتاد جهلها والصبرَ عليها، وقدرَ أن يتحمَّل جهل العامّةِ والخاصَّةِ. كان رجلاً أبيضَ أشقرَ، جيّدَ العظام، ضيّقَ ما بين المنكبين، سريعَ الجواب، كثيرَ التوحُّدِ، قليلَ الأكلِ والشربِ، شديدَ التعبّد، يكثر من الأسفار وذكر الموتِ.

كان رجلاً يُقَدِّسُ الحكمةَ ويُعَظِّمُهَا إلى حدٍّ أنَّه أضَرَّ بِمَنْ بعدَهُ حيث أنّه رفض استوداع الحكمة في الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلكَ، وكان يقول: « إنّ الحكمة ظَاهِرَةٌ، مقدَّسَةٌ، غيرُ فاسدةٍ، ولا دَنِسَةٍ فلا ينبغي لنا أن نستودعَها إلاَّ الأنْفُسَ الحَيَّةَ وننزّهَها عن الجلودِ الميّتةِ ونصونَها عن القلوبِ المتمرّدةِ ».

لذلك فإنّ سُقْرَاطَ لم يصنّف كتاباً، ولا أملى على أحدٍ من تلاميذه ما أثبتَهُ في قرطاسٍ، وإنّما كان يلقّنُهُم علمَهُ تلقيناً.

وكان سُقْرَاطُ تلميذاً للحكيم طيماوس فسألَهُ وهو صبي مرَّةً: لِمَ لا تَدَعُنِي أُدوِّنُ ما أسمعُ منكَ من الحكمة؟

فقال له: ما أوثقكَ بجلود البهائم الميّتة وأزهدكَ في الخواطر الحيّة! هَبْ أنّ إنساناً لقيَكَ في طريق فسألكَ عن شرف العلم، هل كان يُحْسِنُ أن تحيلَه على الرجوع إلى منزلك والنظر في كُتُبِكَ؟ فإن كان لا يحسن فالْزَمِ الحِفظَ. فَلَزِمَهُ سُقْرَاطيس.

---

(1) السَّفيْهُ: مَنْ يَسُوءُ تَصرُّفُهُ ويكونُ بعيداً عن الحِلْم والصَّبْرِ.

وكان زاهداً في الدنيا غيرَ مبالٍ بها. وكان ملوك اليونانيين إذا حاربوا أخرجوا حكماءهم في أسفارهم، وحَدَثَ أن خَرَجَ ملك أثينا فأخرج معه سُقْرَاطَ لبعض مهمّاته، وكان سُقْرَاطُ يأوي في عَسْكَرِهِ ذلك إلى زير[9] مكسور يستكين من البرد، فإذا طلعت الشمسُ خرجَ منه فجلس عليه يستدفئ بها ولأجل ذلك سُمِّيَ (سُقْرَاطُ الجُبّ) فمرَّ به الملك وهو على الزير فوقف وقال له: مَا لَنا لا نراكَ يا سقراط، وما يمنعك من المسير إلينا؟

فقال: الشغلُ أيُّها الملك!

فقال: بماذا؟ قال: بما يُقيمُ الحياة.

قال: فَسِرْ إلينا فإنَّ هذا مُعَدٌّ عندنا أبداً.

فقال: لو علمتُ أيّها الملكُ أني أجدُ ذلك لم أَدَعُهُ.

قال الملكُ: بلغني أنَّكَ تقولُ إنّ عبادة الأصنام ضارّة.

فقال سُقْرَاطُ: لم أقلْ هكذا، وإنّما قلتُ إنّ عبادة الأصنام نافعة للملك ضارّة بسقراط، لأنّ الملكَ يصلح بها رعيتَهُ ويستخرج بها خراجه، وسقراط يعلمُ أنّها لا تضرّه ولا تنفعه.

فقال الملكُ: هل لك حاجة؟

قال: نعم! أن تصرفَ عنان دابتك عَنّي فقد سترتني جيوشك عن ضوء الشمس. فدعَا له الملكُ بكُسوةٍ فاخرة من ديباج وحريرٍ وجواهر ودنانير كثيرة.

فقال سُقْرَاطُ: أيّها الملكُ وَعَدْتَ بما يُقيمُ الحياةَ، وبذَلْتَ ما يقيمُ الموتَ، ليس لسقراط حاجةٌ إلى حجارة الأرضِ وهشيم النبتِ، ولُعَابِ الدودِ، اعلمْ أيُّها الملكُ أنَّ الذي يحتاج إليه سقراط هو معه حيث توجَّهَ.

وكان سُقْرَاطُ يرمز في كلامه مثلما كان فيثاغورس وهذه الرموز يقدّمها لذوي العقول النيّرة المتفتِّحةِ بالحكمةِ، ومن أقوالهِ المرمَّزَةِ:

---

(9) الزِّيْرُ: الخَابيَةُ أو الوعاءُ الكبيرُ مِنَ الفَخّار.

«**عِنْدَمَا فَتَّشْتُ عَنْ عِلَّةِ الحياةِ وَجَدْتُ المَوْتَ، وَعِنْدَمَا وَجَدْتُ المَوْتَ عَرَفْتُ حِينَئِذٍ كَيْفَ يَنْبَغي أنْ أَعِيْشَ**».

ويقصد بقوله هذا أنَّ الذي يريدُ أن يحيا حياةً إلهيَّةً ينبغي أن يُميتَ نفسَهُ من جميعِ الأفعالِ الجسميّةِ على قدرِ القوّةِ التي مُنِحَهَا، فإنَّهُ حينئذٍ يتهيَّأ له أن يعيش حياةَ الحقِّ وقال: «**تَكَلَّمْ بِاللَّيْلِ حَيْثُ لاَ تَكُونُ أَعْشَاشُ الخَفَافِيْشِ**» ويقصد أنّه ينبغي أن يكون كلامك عند خلوتك لنفسِكَ وأن تجمعَ فكرك، وامنع نفسك أن تطلع في شيء من الأمور الهيولانيات.

وقال: «أُسْدُدْ خمْسَ الكُوَى لِتُضِيءَ مَسْكَنَ العِلَّةِ». أي أغمض حواسّك الخَمْسَ عن الجَوَلاَن فيما لا يُجدي لتضيء نفسك بالحكمةِ.

وقال: «**اِمْلأِ الوِعَاءَ طِيْبَاً**». أي أودِعْ عقلَكَ بياناً وفهماً وحكمةً. وقال: «اَفْرِغِ الحَوْضَ المثلَّثَ من القِلاَلِ الفَارِغةِ » ويقصدُ بهذا القول: أَبْعِدْ عن قلبكَ جميع الآلام العارضة في الأجناس الثلاثة من قوى النفسِ التي هي أصل جميع البشر.

وقولُه: «**لاَ تَأْكُلِ الأَسْوَدَ الذَّنَبَ**» ويقصد احذر الخطيئة التي تجرّ على الإنسان عواقِبَ سوداء وخيمة.

وقولُه: «**عِنْدَ المَمَاتِ لا تَكُنْ نَمْلَةً**». ويقصد عندما تريد أن تفني نفسَكَ بالحقيقةِ والمعرفة فلا تقتنِ ذخائر الحسن ولا تفكّر بالمادّيات.

وقوله: «يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّه لَيْسَ زَمانٌ مِنَ الأَزْمِنَةِ يُفْقَدُ فِيه زَمَانُ الرَّبيعِ». ويقصد: لا يوجد وقتٌ محدّد لتعلُّم الحكمةِ، ولا مانعَ لك في أي زمان ووَقْتٍ من اكتساب الفضائل.

وقولـه: «**اِفْحَصْ عَنْ ثَلاَثِ سُبُلٍ فَإِذَا لَمْ تَجِدْهَا فَأرضَ أَنْ تَنَامَ لَهَا نَوْمَ المُسْتَغْرِقِ**». ويقصد ابحث وتعلّم في ثلاثة علوم هامةٍ لك، عِلْمِ الأجسام: الفلَك والطبّ والفيزياء، وعِلْمِ ما لا جسمَ له: المنطق والفلسفة والحكمة، وعِلْمِ الذي هو موجود وإن كان لا جسم له فهو موجود مع الأجسام: ما وراء الطبيعة والإلهيات، وما صَعُبَ عليك فهمُه وتعلُّمُهُ فارض بالإمساكِ عنه.

وقولـه: «**لَيْسَتِ التِّسْعَةُ بأكْمَلَ مِنْ وَاحِدٍ**» ويقصـد أنّ العشـرةَ هـي العقـد مـن العـدد، وهـي أكثـر مـن التسـعة، وإنّمـا تكمـل التسـعةُ لتكـونَ عشـرةً بالواحـد، وكذلك الفضائل التسع تتمُّ وتكمُلُ بخوف الله عزَّ وجلَّ ومحبَّتِهِ ومراقبتهِ.

وقوله: «**اِقْتَنِ بالاِثْنَي عَشَرَ اِثْنَتَي عَشْرَةَ**».

ويقصد اقتنِ بالاثني عشر عضواً في جسمكَ البرَّ والفضائل والأعضاءَ الاثني عشرَ وهي:

العينان والأذنان والمنخران واللسان، واليدان، والرجلان والفرج، وبالاثني عشر شهراً اكتسِبْ أنواع الأشياء المحمودة المكمِّلَة للإنسان في تدبيره ومعرفته في هذا العالم.

وقال أيضاً: «**اِزْرَعْ بالأسْوَدِ واحْصُدْ بالأَبْيَضِ**».

ويقصد أَقْدِمْ على العلم والخير والبرّ ولو تحملتَ الصعابَ والدموعَ فإنكَ تزرعُ ما سوف تحصُده بالسرور والفرحةِ والرضا وهو المقصود بالأبيض.

ولمَّا سألَهُ أهل دهره عن عبادة الأصنام صَدَّهُم عنها وأبطلَها ونهى عنها، وأمرهم بعبادة الواحد الصمد البارئ الخالق العالم بما فيه، الحكيم القدير، وليس عبادة الحجر المنحوت الذي لا ينطق ولا يسمع ولا يُحَسُّ بشيءٍ من الآلات، وحضَّ الناس على فعل الخير وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكرات.

فلمَّا عَلِمَ الكهنة والأراكنة[10] ما قصدَ من دعوته حَاكموهُ من خلال القُضاة الأحد عشرَ في أثينا فحكموا عليه بالموت ولكنَّ الملكَ لم يستطع مَنْعَ القُضَاةِ أو مخالفتهم فقال له: اختر أي قتلةٍ شئت.

فقال: بالسم.

وقد تأخَّر قَتْلُ سُقْرَاطَ لشهور وهو في سجنه بسبب تأخر وصول المركب من هيكل أفولون إلى أثينا، وكان أصحابه وتلاميذه يزورونه طوال سجنه، ولمّا وَصَل المركبُ وحانتِ اللحظةُ الحاسمة بكَّرَ إليه أصحابه وتلاميذه وقد أُزيلت القيودُ عن

---

(10) **الأرَاكِنَةُ:مفردها أراكون وهو الرّاهب أو الكاهن عند اليونان .**

رجليه، فنزل سُقْرَاطَ عن السرير وقعد على الأرض وقصَّ عليهم كثيراً من العلوم الإلهيَّة والأسرار الربَّانية، ولمَّا فرغ قال: أمّا الآن فأظنُّه قد حضر الوقت الذي ينبغي لنا أن نستحمَّ فيه ونصلِّي ما أمكننا ولا نكلِّفُ أحداً حمَّام الموتى، فإنَّ الأمارماني (القضاء والقدر) قد دعانا ونحن ماضون إلى زيوس (ربِّ الأرباب)، وأمَّا أنتم فتمضون إلى أهاليكم، ثمّ نهض فدخَلَ بيتاً فاستحمَّ وصَلَّى وأطالَ اللبث، ثمّ خرج فدَعَا بولده ونسائه فودّعهم وأوصاهم وصرفهم. ثمّ دعا خادم الأحدَ عَشرَ، فقال له الخادمُ: يا سُقْرَاطُ! إنَّكَ جريء مع ما أراه منك، وإنَّك لتعلمُ أنّي لستُ عِلَّة موتِكَ وأنَّ عِلَّة موتك هم القضاة الأحدَ عشرَ، وأنا مأمورٌ مضطرٌّ إليه، وإنَّكَ لأفضلُ من جميع مَنْ صار إلى هذا الموضع، فاشرب الدواءَ بطيبة النفسِ واصبر على اضطرار اللازم.

ثمّ ذرفت عيناه الدموعَ، فقال له سُقْرَاطُ: تفعلُ ولَسْتَ بِمَلُومٍ. ثمّ تناول سُقْرَاط السمّ، فلمَّا رآه أصحابه قد شربَهُ علَتْ أصواتهم بالبكاء والنُّواح، فأقبلَ عليهم سُقْرَاط يلومُهم ويَعِظُهم قائلاً: إنّما صَرَفْنَا النساء لئلاَّ يكون هذا منهم.

فأمسكوا عن البكاء حياءً منه وقصداً للطاعةِ على مضض، وأخذَ سُقْرَاطُ في المشي حتّى ثقُلَت رجلاه فتمدَّد على الأرضِ، فقال له بعض أصحابه: يا إمامَ الحكمةِ، ما آذى عقولنا إلاَّ أن تُبعدَ عنا عقلك فاعْهَدْ لنا.

فقال: خذوا طباعَكُم بالقنوع من بدء معرفتها، فإنكم تعرفون الشكر عند الزيادة ويطيب عيشُكم، ولا تستشيروا رُسُلاً سوى قلوبكم فإنَّ الزمان لا يؤمن أن ينصرف عنكم بحاشيتهِ العادلة، كما ينصرف عليكم بحاشيته الجائرة. ولا تستصْغروا الأمر إذا وَرَدَ عليكم صغيراً وهو قابل للنماء والكبر، ورَبِّ صديقَكَ بالمحبَّةِ كما يُربَّى الصغير ولا تُظهرْ له مودَّتَك دفعة واحدة فإنّه متى رأى منك تغيُّراً أعقبَك بالعداوة، وتجنَّب الحَرَدَ فإنَّه يضيّعُ المودّةَ ويهتُكُ السِّتْرَ والشَّرَفَ والفَضيلةَ، واستعملوا المحبّة وارتضوا المعاملة بوزن القَصَاص تسلمُ أنفسُكم من الأشرار، وتقربوا من الأخيار. ثمّ شخص بصَرُهُ وقال: أسلمتُ نفسي إلى قَابِض أَنْفُسِ الحُكَماءِ.

ومات وله من العمر مئة وبضع سنين. رحمةُ اللّهِ عليه.

والحَمْدُ للّهِ العَزِيْزِ الحَكِيْم.

7 ــ خَبَرُ أَفْلاَطُوْنَ الحَكِيْمِ

هو أَفْلاَطُوْنُ بن أرسطن اليوناني، أمُّه من نَسْل سولون الحكيم صاحب الشرائع، ومعنى اسم أَفْلاَطُوْنَ (العميم الواسع)، اشتُهِرَ بسائر المناطق والأقاليم، وكان يُدْعى بـ (معلِّم الأرض، رئيس الحكماء، الحكيم الأكبر)، وله مؤلَّفاتٌ كثيرة دينيّة وطبيعية.

نَشَأَ ببلاد اليونان نشوءاً حَسَنَاً ثمّ صار تلميذاً لسقراط الحكيم، سافر كثيراً وتنقَّل بحثاً عن المعرفة الدينيَّة والحكمة الرَّبانية، وأخذ عن فيثاغورس وسقراط، وصار معلماً لأرسطوطاليس.

وقد مَرَّ به رجلٌ وهو يغرس شجر الزيتون وقد صار شيخاً كبيراً فقال له: يا سيّدي أتغرسُ شجر الزيتون وأنتَ في آخر عمركَ؟

فقال له: لئن أتركُ الدنيا بعد مماتي لأعدائي أحبُّ إليَّ ممَّا أحتاجُ في حياتي لأصدقائي.

ومن وصيّتِهِ لأرسطوطاليس قوله: اعرِف اللّهَ وحَقَّهُ، وَلْتَكُنْ عنايتكَ بالعلم والتعليم الصالح أكثر من عنايتك بغذائك يوماً بيومٍ، ولا تسأل اللّهَ عزَّ وجلَّ فيما لا يدوم لك أن تفعله، ولا ينبغي أن تهوى حياة صالحة فقط، بل ولا موتاً صالحاً، ولا تُعدُّ الحياةُ والموتُ صالحَيْن إن تكسَبْ بهما البرَّ. تذكَّرْ ما كُنْتَ وإلى أينَ مصيركَ ولا تؤذيَنَّ أحداً فإنَّ الأشياءَ زائلةٌ، وليسَ الحكيمُ التامُّ مَنْ فَرِحَ بشيءٍ من هذا العالم، أو جَزِعَ لشيءٍ من مُصَابه.

أدِمْ ذِكْرَ المَوْتِ والاعتبارَ بهِ، وتُعرَفُ خَساسَةُ المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه، وإخباره بما لا يُسأَلُ عنه ولا يُرادُ منه. ومَنْ فكَّر بالشرِّ لغيره فقد قَبِلَ الشرَّ من نفسهِ. لا تؤخِّرْ إنالة المحتاج إلى غدٍ فإنَّكَ لا تعرف ما تُعَرض له في غدٍ. أَعِنِ المُبْتلي إن لم يكنْ سوءُ عملِهِ أبلاَهُ.

لا تحكمْ قبل سماع الخصمين، ولا تَكُنْ حكيماً بالقول فقط بل كن حكيماً بالعمل فإنَّ الحكمةَ التي بالقول تبقى والحكمة التي بالعمل تنفعك في العالم الآتي وليس الشرف عندَ اللّهِ إلاَّ بالأعمال الصالحة الحكيمة، وإنَّ التعبَ في البرِّ يزولُ ويبقى البرُّ.

اذكرِ الميزانَ العَدْلَ واخضعْ للأدبِ فإنَّك لا تدري متى الرحلةُ، واعلمْ أن ليس في عطايا اللّه تعالى وتقدَّسَ شيءٌ من الحكمةِ خيرٌ من معرفتهِ على الحقيقةِ.

كافِ بالخيرِ واصفح عن الشرِّ تحفَّظ في كلّ وقت وتذكَّرْ وافهمْ أمركَ واعقِلْهُ. احببِ الحكمة وانصُتْ للحكماء وأطعِ السلطانَ، ولا تمتنعْ في وقتٍ من الأوقاتِ من الأدبِ الحَسَنِ، ولا تفعل شيئاً في غير وقتهِ، ولا تقلْ قولاً لا يُنْتَفَعُ بهِ، الزَمْ في كلِّ شيءٍ العَدْلَ والاستقامةَ.

وكانَ أَفْلاَطُوْنُ يقولُ لتلاميذهِ: الذي يعلِّمُ الخيرَ ولا يفعله بمنزلةِ من بيده سراجٌ يضيء لغيره. والمَلِكُ كالنهرِ الأعظمِ تستمدُّ منه الأنهار الصغارُ، فإنْ كانَ عَذْباً عَذُبَتْ، وإنْ كانَ مَلِحَاً مَلَحَتْ. والفضائلُ الإلهيَّةُ أربعُ: العدلُ والحِلْمُ والعفَّةُ والشجاعةُ، فبالعدل يظهرُ الحقُّ وبالحِلْمِ يُكْسَبُ الحَمْدُ، وبالعفَّةِ تكمُلُ المروءةُ وبالشجاعةِ تُقهَرُ الشهوةُ.

الأشرارُ يتبعونَ مساوئَ النّاس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذبابُ المواضِعَ الفاسدةَ من الجَسد ويتركُ الصحيحَ منه.

ينبغي للملكِ أن يبتدئ بتقويم نفسِهِ قَبْل أن يشرعَ في تقويم رعَاياه وإلاَّ كان كمَنْ رامَ استقامةَ ظلٍّ مُعْوَجٍّ قبل تقويم عوده. قبيح على الملكِ السُّكْرُ لأنَّه حارسُ المملكة ومن القبيح أن يحتاجَ الحارسُ إلى مَنْ يحرسُهُ.

وكان أَفْلاَطُوْنُ من أنصار عَدَم تَدْوِيْنِ الحكمةِ بالكُتُبِ والقراطيس لكنَّه كان يحميها عن الجاهلين باستخدامها بأقوالٍ تستعصِي إلاَّ على الحكيم المجدِّ في دراستها مُسانداً بذلك رأيَ معلِّمِه سقراط. وكان يخاطبُ العامَّةَ بنصائح قريبةٍ لأفهامهم حيث كان يقولُ: أصلِحوا أنفسَكم تَصْلُحُ لكم آخرتُكم، ومَنْ بَدَأَ

بنفسِهِ فسَاسَها أدركَ سياسةَ الناسِ. والإفراطُ في النصيحة يهجم بصاحبها على كثير من الظنَّةِ. والدواء تقديرُ الغذاء، والحِميةُ أن تدَعَ في الشهوةِ بقيةً. وكما لا يحبُ أن يُتمغَّصَ من صوت الحمارِ إذا نهقَ، والغرابِ إذا نعقَ فكذا يجبُ أن لا يُحقَّرَ بكلام الجاهل إذا تكلَّمَ، فكلُّ حيوانٍ يصوِّتُ بما في طبعه.

أَنْعَمُ الناسِ عيشاً من كَفَّ وعَفَّ ورضي من النِّعَمِ بما قُسِمَ، وأعقلُهم من نظرَ واعتبر، ووُعِظَ فازدجرْ. ولا ينبغي للمؤدَّبِ أن يخالطَ مَنْ لا أدبَ له، كما لا ينبغي للصاحي أن يخالِطَ السكرانَ. العقلُ حياةُ الرُّوحِ والعِلمُ حياةُ العقل، والسؤالُ حياةُ العلم. والعقلُ أفضلُ المواهب الروحانية، والعافية أفضلُ المواهب الجسدية. وكما النارُ لا تقوى إلاَّ بمِدَاد الحطبِ، كذلك العقل لا ينمو إلاَّ باكتساب الأدب، والحكمةُ جلاءُ العقلِ كما المرآةُ بغيرِ وجْهٍ لا تأتي بصورةٍ كذلك الرَجُلُ بغير حكمةٍ لا يأتي بفضيلةٍ. ويروى عن أَفْلاَطُوْنَ أنَّهُ ماتَ بِعِلَّةِ الإسهال مع غزير علمه وحكمتهِ وذلك دليل على قدرة اللّه سبحانه وأنّه ما من إنسانٍ إلاَّ وسيذوق كأس الموتِ مهما أُوتي من علمٍ ومعرفةٍ بالطبِّ والحكمةِ، وعندما عَرَضَ له المرضُ واشتدَّ عليه قيل له: أنتَ أبرأتَ من هذه كثيرين، فلِم لا تبرئ نفسك منها؟

فطلب إناءً فيه ماءٌ، فلمَّا أُحْضِرَ بين يديه رَقى فيه قليلاً فجمدَ الماءُ، فقال: (أكلتُ من هذا كثيراً فما أفاد)، وهو يقصد أنّ التقديرَ يبطلُ التدبير، وقد أوصى أهل المدينة أن يدفنوه عند موته بالمدينة، وطالما قبره موجود فيها فلن يحلّ بها وباء. فلمَّا مات ـ رحمةُ اللّه عليه ـ تمّ دفنه بالمدينة في قبرٍ معظم، فلم يحلّ بالمدينة أيّ وباء، حتّى أرسل ملك رومية بعد فترةٍ من الزمن مَنْ تلطَّف واحتال حتّى دخل القبر وسرق جسد أَفْلاَطُوْنَ[1] إلى رومية فدفنه ملكها وعظماؤها في كنيستها العظمى فوقع في المدينة (قونية) وباء سنتها أودى بحياة الكثيرين.

(1) وَ يَقُولُ بعضُهم أنَّ الرجُلَ لمْ يَسْرِقْ كَامِلَ جَسَدِ أَفْلاَطُوْنَ وَإنَّما حزَّ رأسَهُ وَقطعَهُ وَهَرَبَ بِهِ .

8 ــ خَبَرُ أَرِسْطُوْطَالِيْس الحَكِيْمِ

هو أَرِسْطُوْطَالِيْس أو(أَرِسْطاطَالِيْس) بن نيقوماخس، ومعنى اسمه (الكمالُ الفاضلُ)، والدُه كان رجلاً ماهراً في الطبِّ، وُلِدَ أرسطو في مدينة « اسطاغيرا » جنوب مقدونيا، وعندما بلغ ثماني سنوات من عمره حملَه أبوه معه إلى أثينا، فضمَّه إلى الشعراء والبُلغاء والنحويين، فأقامَ متعلِّماً منهم تسعَ سنين، فتعلَّمَ عِلْمَ المحيط (علم اللسان) لحاجة جميع الناس إليه لأَنَّه الأداةُ والمَرْقَى إلى كلّ حكمةٍ وفضيلةٍ، والبيانُ الذي يتحصَّل به كلُّ عِلْمٍ.

وعندما جَحَدَ بعضُ الحكماء عِلْمَ النحويين اللغويين وعنَّفوا المشتغلين به رَدَّ عليهم أَرِسْطُو بقوله: (إنَّه لا غنى للحكمة عن علمهم، لأنّ المنطقَ أداةٌ لعلمِهم، وإنَّ فصلَ الإنسان على البهائم هو بالمنطق، فأَحقُّهم بالأُنسيَّةِ أبلغُهم في منطقِه وأوصلُهم إلى عبارةٍ ذات نفسه وأوضعُهم لمنطقه في موضعه وأحسنهم اختياراً لأوجزه وأعذبه. ولأنَّ الحكمةَ أشرفُ الأشياء فينبغي أن تكونَ العبارةُ عنها بأحكامِ المنطقِ وأفصحِ اللهجة وأوجز اللفظ).

ولّما استكملَ أَرِسْطُو عِلْم الشعراء والبلغاء قصدَ العلوم الأخلاقية والسياسية والطبيعية والإلهية فانقطع إلى أَفْلاَطُوْنَ وصارَ تلميذاً ومتعلِّمَاً منه وله يومئذٍ سبع عشرة سنة وأقام يتعلّمُ منه عشرين سنة سماعاً من فمه.

وكان أَفْلاَطُوْنُ يحبُّ أَرِسْطُو ويُجِلُّهُ ويفضِّلُهُ على سائر تلاميذه، وعندما كان يجلس أَفْلاَطُوْنُ ليُحدِّثَ الناسَ يقولُ: انتظروا حتّى يحضرَ العقلُ. فإذا حَضَرَ أَرِسْطُو يقولُ: تكلَّموا قد حضرَ العقلُ.

كان أَرِسْطُو أبيض قليلاً، حَسَنَ القامةِ، صغيرَ العينين، كثَّ اللحيةِ، أشهل العينين، أقنى الأنف صغيرَ الفم، عريضَ الصدر، يسرع في مشيته إذا خلا بنفسه، يبطئ إذا كان مع أصحابه، ناظراً في الكتب لا يهدأ، يقف عند كل كلمة ويُطيلُ الإطراقَ عند السؤالِ، ينتقلُ في أوقات النهار نحو الفيافي والأنهار، محبَّاً

لاستماع الألحان وللاجتماع بأهل الرياضيات وأصحاب الجَدَل، معتدلَ المَلْبَسِ والمأكلِ والمشربِ.

ولمّا هَلَكَ أَفْلاَطُوْنُ خرجَ أَرِسْطُو إلى (لوقيون) بأثينا، واتَّخَذَ له داراً لتعليم الحكمةِ لعَشْرِ سنواتٍ، وعندما قام عليه رجلٌ من عُبَّادِ الأصنام وشنَّعَ عليه، خشي أن يفعلوا به كما فعلوا بسقراط الزاهد، فترك أثينا إلى بلده وأقبل على العناية بمصالح الناس ورَفْد الضعفاء، وكان جليلَ القَدْر بين الناس، ولمّا مات صيَّروهُ ودفنوه في ندوة التشاور التي كانوا يجتمعون فيها للمشاورة في جلائل الأمور وكانت هذه الندوة تُسمَّى (الأَرِسْطُاطَالِيْس) وصاروا يزورون قبره ويستريحون إليه حيث تُذَكَّى عقولهم ويُصح فكرهم وتَلْطُف أذهانهم. صنف أرسطو كثيراً من الكتب في المنطق والأخلاق والقول الإلهي والهندسة وبلغ مجموع كتبه ما يزيد على المئة.

وعندما عَذَل أَفْلاَطُوْنُ تلميذَهُ أَرِسْطُو على إظهار الحكمة وتصنيفها في الكتب أجابه معتذراً:

«إنَّما أبناء الحكمة وَرَثَتُها، فلن ينبغي أن ينجسوها وأمّا أعداؤها والزاهدون فيها فلن يصلوا إليها لجهلهم بما فيها ورغبتهم عنها، ونفارهم منها لقُسْرِهَا عليهم، وقد حصَّنْتُ له الحكمة. مع إباحتي إيَّاها. تحصيناً منيعاً لئلاَّ يَتسوّرها السفهاءُ ولا يصل إليها الجهلاءُ ولا يتناولها الأشقياء، ونظَّمتُها نظماً لا يعبأُ به إلاَّ الحكماء ولا ينتفعُ به الجحدةُ الكَذَبَةُ».

وماتَ أَرِسْطُوْطَالِيْس وله من العمر ثمان وستون سنة رحمة الله عليه.

وكان يقول: الشكرُ واجبٌ للّهِ تعالى، والمَنُّ له سبحانه على البَرِيَّةِ، والطول من عنده! وإيّاه أحمدُ وهو ملجئي وبه أستعينُ على المُهمِّ في كبير أمري وصغيرِهِ، وشكري له شُكْرُ مَنْ يعرفُ مِنَّتَهُ عليه ولا يحصي نِعَمَهُ لديه، ومن يقولُ: إنَّهُ واحد لا أوَّل له ولا زوال لمُلكِهِ، أنشأَ الخليقة لا من موجودات، وأحدثَها لا من متقدِّمات، خلق الرؤوسَ الأُوَال كيف شاء، وبرأَ الطبائعَ الكليَّةَ من تلك الرؤوس على ما شاء.

الحمدُ للّهِ الذي سوّى الخليقةَ ونضّدَها وحلاَّها حليةً لا تتغيّر، وفطرهَا على أهنَأ الفطَرِ، إيّاه عَبَدَ الأوَّلون، وإليه قصدَ الملوكُ المشهودون وأشار الحكماءُ

العالِمون، الحمدُ للّه الذي قسمَ البَريَّةَ كيف شاء فانفردَ بكلّ ما فعله كما أحبَّ وجعل ما في السماء دائمَ الحركةِ، وثبّت له في ذلك القوّة التي لا يقاس إليها شيء، وجعلَ حركةَ الكواكب لإظهار كيفيات ما في العالم، وصيّر التغيّر والانقلاب على حالة واحدة وقدَّم بعضاً على بعضٍ فكلّ بيده ومن عنده، لا نقص لما أثبته ولا دوم لما فرّقَهُ.

وقال: الحمدُ للّهِ الذي سَبَقَ الكيفيَّة والماهيَّة، وتعالَى عن جميع الأينيات والمحدودات والموصوفات. فأنشَأ به كلَّ موصوفٍ وأعادَ كلَّ المتجانساتِ، الذي أظهر اشتراك الأشياء واتِّفاق ما أنشأَ بتوحيده وانفراد قدرته، وأثبتَ اختلاف الربِّيَّة بقوته وسعة قدرته، لا مثالَ لقدرته ولا قرين لقوَّتِهِ، ولا أمدَ لملكهِ ولا زوال لربوبيته ولا معاند لأمره ولا خلل في خلقه، فكل الممدوح دونه وكل القياسات منحطة من جلاله، ارتفع عن التوهّم وعَلاَ على كلّ ممدوحٍ فله الحمد كما هو أهله.

وقال: اعْلَمْ أَنَّه لا شيء لكَ إلاَّ ما نلتَ من جميلِ الذِّكْرِ ورضوان الخالق تعالى ذكرُه، فإنَّكَ إن وثقت به في حقّه عليكَ وقَاكَ شرَّ من دونه.

وقال أيضاً: اِعْلَمْ أنَّكَ غيرُ مستصلِحٍ رعيَّتك وأنتَ فاسدٌ، ولا مرشدهم وأنتَ غاوٍ، ولا هاديهم وأنت ضال، فكيفَ يقدِرُ الأعمى أن يهديَ، والفقيرُ أن يُغْنِيَ والذليلُ أن يُعِزَّ والضعيفُ أن يقوّي!

واعْلَمْ أنَّه ما استصلحَ المستصلِحُ غيرَهُ إلاَّ بصلاح نفسهِ، ولا أفسدَ المُفْسِدُ سواه إلاَّ بفسادِ نفسِهِ. فإن رغبت في صلاح مَنْ وُلِّيْتَ أمره فابتدئ بصلاح نفسك، وإن أردتَ دَفْعَ العُيوبِ عن غيرك فطَهِّرْ منها قلبَكَ فإنَّكَ لا تقدرُ على تطهير غيرك وقد دنَّستَ نَفْسَكَ كبُعْدِ المُتَطبِّبِ من إبراء غيره من دائِهِ.

وقال أَرِسْطُو أيضاً: احذَرِ الحِرْصَ (البخلَ)! فأمّا ما هو مصلحك ومصلح على يديك فالزهدُ. واعلَمْ أنَّ الزهدَ باليقين، واليقينَ بالصبر، وأنَّ الصبرَ بالفِكْر. فإذا فكَّرْتَ في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن تكْرِمَها بهوانِ الآخرة، لأنَّ الدنيا دارُ بلاءٍ ومنزلُ قُلَعة.

وقال أيضاً: احذرِ الشهواتِ! وليكن ما تستعينُ به على كَفِّهَا عَنْكَ علْمُكَ بأنَّ الشهواتِ مُذْهِلَةٌ لفضلكَ، مهجنةٌ لرأيك، شائعةٌ لغرضك، شاغلةٌ لكَ عن عظيم أمركَ لأنّها لعبٌ، إذا حَضَرَ اللعِبُ غَابَ الجِدُّ، ولا يقوم الدِّيْن ولا تصلح الدنيا إلاّ بالجدِّ، وإن نازَعَتْكَ نفسُكَ إلى الشهوات واللهو فَغَالِبْهَا أشدَّ المغالبةِ وامتَنِعْ منها أشدَّ الامتناع، وليكنْ مرجِعُكَ منها إلى الحقِّ، فإنَّكَ متى تتركُ شيئاً من الحق فلا تتركه إلاّ إلى الباطل، ومهما تترك من الصواب فإنّما تتركه إلى الخطأ.

وقال: وإيّاكَ والكذبَ فإنَّ الكذَّابَ لا يكذبُ إلاَّ من مَهَانةِ نفسِه وسَخَافَةِ رأيهِ، وجهالةً منه بعواقبِ مضرَّةِ الكذْب عليه. واعلمْ أنَّ أقلَّ ما ينزِلُ بالكذّاب إذا عُرِفَ به أن يقولَ فلا يُصدَّق وهو صادقٌ، ولا يحكُمُ وهو عادل، ولا يبرأُ وهو نظيف ثمّ يصيرُ في البُعدِ من بغيتِهِ والانحياد عن قصده بمنزلةِ مَنْ أراد الشرقَ فتوجَّه إلى الغربِ.

وقال: **إنّ العلم حياةٌ، وإنَّ الجهلَ موتٌ، وعِلْمُ الحكيم بما يأتي من الأعمال أحيا أعمالَهُ، وجهلُ العامَّةِ بما يأتون أماتَ أعمالهم وأضاعها وصاحبُ الحسنة الضائعة قد نوى الحسنةَ فأخطأها، وصاحبُ السيئةِ قد نوى السيئة فأدركها، فقد جمعَهما الخطأ ولأحدِهما فضلٌ بالسيئةِ.**

9 ـــ خَبَرُ لُقْمَانَ الحَكِيْمِ

هو لُقْمَانُ بن عنقاء بن سدون، ويُقال: لُقْمَانُ بن ثاران بن سدون، وكان نوبياً من أهل «أيلة». أعطاه اللّه سبحانه وتعالى الحكمةَ، ومَنَعَهُ النبوَّةَ. كان عبداً أسودَ عظيمَ الشفتين.

أتاهُ رجلٌ ذات يومٍ وهو في مَجْلِسِ أُنَاس يحدِّثُهم فقال له: ألستَ الذي كُنْتَ ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا...؟

فقال لُقْمَانُ: نعم!

قال: فما بلغ بِكَ ما أرى؟

قال: صِدْقُ الحديثِ والصمتُ عمَّا لا يعنيني.

وقيل في الروايةِ ذاتِها: جاءَهُ رجلٌ فقال له: أنتَ لُقْمَانُ راعي الغنمِ الأسودُ؟

قال: نعم! أمَّا سوادي فظاهرٌ، فما الذي يعجبك من أمري؟

قال: وَطْءُ الناس بِساطَك وغَشْيُهم بابَكَ ورضاهم بقولك.

فقال: يا بْنَ أخي! إنْ صنعتَ ما أقولُ لك كُنْتَ كَذَلكَ.

قال: ما هو؟

قال: غَضِّي بصري، وكفِّي لساني وعِفَّتي مَطْمعي، وحفظي فرجي، وقيامي بعدّتي ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وترْكِي ما لا يعنيني، فذاكَ الذي صيّرني كما ترى. وكان لُقْمَانُ الحكيم كما ذكر أبو الدرداء (رضي اللّه عنهما) رجلاً جسيماً جريئاً، سَكِيْتَاً طويلَ التفكيرِ، عميقَ النظر، لم ينَم نهاراً قطّ ولم يرَهُ أحدٌ يبصُقُ أو يتنخخُ ولا يبوِّلُ ولا يتغوَّطُ ولا يغتسلُ، ولا يعبثُ ولا يضحكُ ولا يُعيدُ منطقاً نطقَهُ إلاَّ أن يقولَ حكمةً يستعيدُها إيَّاهُ أحدٌ، وكان قد تزوَّجَ ووُلِدَ له أولاد فلمَّا توُفُّوا لم يبك عليهم.

وَرَدَ ذكرُ لُقْمَانَ في القرآن الكريم[1] في سورة خاصة (لُقْمَان) وفيها كلامُ لُقْمَانَ ومواعظُهُ لابنه، حيث كان أوَّلُ ما وعظَهُ به أن نَهَاهُ عن الشِّرْكِ باللّه تعالى، ثمّ الإحسانُ إلى الوالدين حتّى ولو كانا مشرِكَيْنِ دون إطاعتهما في الكفر والعصيان، ونهاه عن ظلم الناس ولو بحبَّةٍ خردل، وَدَعَاهُ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على حُكْمِ اللّه فما بَعْد الصبرِ إلاَّ الفرجُ، وعدم التكبُّر والتجبُّر على الناس والتبختر في المشية، ودعاه إلى عَدَمِ التكلُّفِ في رَفْعِ الصَّوْتِ أثناءَ الكلام.

ومن جملة ما قالَ لُقْمَانُ لابنه: يا بُنيّ! إيَّاكَ والتقنُّعَ فإنَّه مخونةٌ بالليل مذمَّةٌ بالنهار، وإنَّ الحكمةَ أجلَسَتِ المساكِيْنَ مجلسَ الملوك. إذا أتَيْتَ نادِيَ قومٍ فأدمهم بسهم الإسلام (يعني شاركهم بالسلام) ثمّ اجلس بناصيتهم فلا تنطق حتّى تراهم نطقوا، فإنْ أفاضُوْا في ذِكْرِ اللّهِ فأَجِلْ سهمك معهم وإن أفاضوا في غير ذلك فحوِّلْ عنهم إلى غيرهم.

يا بُنَيَّ! اتخذْ طاعةَ اللّهِ تجارةً تأْتِكَ الأرباحُ من غير بضاعة. اتَّقِ اللّهَ ولا تُري الناسَ أنَّك تخشى اللّه ليكرموكَ بذلكَ وقلبُكَ فاجرٌ.

يا بُنَيَّ! لا ترغبْ في وِدِّ الجاهل فيرى أنَّكَ ترضى عمله، ولا تُهاوِنْ بمَقْتِ الحكيم فيزهدُه فيكَ، أَلا أنَّ يدَ اللّهِ على أفواه الحكماء لا يتكلّمُ أحدهُم إلاَّ ما هَيَّأَ اللّه له.

---

(1) قالَ تَعَالَى:(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {12} وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {13} وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ {14} وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {15} يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {16}) سورة لُقْمَان

يا بُنِيَّ! ما ندمتُ على السكوت قَطّ، وإن كانَ الكلامُ من فضَّةٍ فالسكوتُ من ذَهَبٍ. اعتزلِ الشرَّ يعتزلْكَ فإنَّ الشرَّ للشرِّ خُلِقَ. مكتوبٌ في الحكمةِ يا بُنَيَّ! إيّاكَ والرَّغبَ فإنَّ الرغبَ كلَّ الرغبِ يبعدُ القريبَ من القريبِ ويُزيلُ الحِكَمَ كما يزيلُ الطربَ، إيَّاكَ وشدَّةَ الغضبِ ممحِقَةٌ لفؤاد الحكيم. يا بُنيَّ اختر المجالسَ على عينكَ، فإذا رأيتَ المَجْلِسَ يُذكَرُ فيه اللّه عزَّ وجلَّ فاجلسْ معهم فإنَّكَ إن تكنْ عالماً ينفعْكَ علمُكَ، وإنْ تكنْ غبياً يعلموكَ وإنْ يَطَّلِعِ اللّهُ عليهم برحمةٍ تُصيبُكَ معهم. ولا تجلسْ في المجلسِ الذي لا يُذكَرُ اللّهُ فيه، فإنَّكَ إن تكُ عالِماً لا ينفعُكَ علمُكَ، وإن تكنْ غبياً يزيدوك غباءً، وإن يطلع اللّهُ إليهم بعد ذلك بسُخطٍ يصيبُكَ معهم.

يا بُنيَّ! لا تغبطوا امرأً رَحْبَ الذراعين يسفكُ دماءَ المؤمنين فإنَّ له عند اللّهِ قاتلاً لا يموتُ.

ومات لُقْمَان وله من العمر ثلاثٌ وثمانون سنةً بعد أن تركَ خلفه حِكَماً وأقوالاً كثيرة حفظها الزمانُ والعقول المتفتّحة، ودُفِنَ في مدينة أيلة من بلاد النوبة وبُنِي فوق قبره ضريحٌ امَّحت آثاره في يومنا، وتشيرُ بعضُ الكتاباتِ إلى أنَّ لُقْمَانَ عاش قبل الإسلام، وما نزول سورةٍ باسمه إلاَّ لأنَّهُ تمتّع بأخلاق كريمة وخصال محمودة هي التي نزل القرآنُ الكريمُ يُحييها، هي أخلاق المؤمن المسلم في كل حين رحمةُ اللّه عليه.

والحَمْدُ لِمَنْ بيَدِهِ المُلْكُ والحِكْمَةُ.

10 ــ خَبَرُ العَزِيْر الحَكِيْمِ

هو عَزِيْرُ بن سورخا بن سوريق بن عَدْيَا بن أيوبَ ، ويرجع نسبه إلى هارون بن عمران، شقيق النبي موسى (υ). وقد تعدّدتِ الأخبار إن كان عَزِيْرُ نبيّاً أو رجلاً صالحاً حكيماً، والثابتُ والراجحُ لدينا هو ما أَثبتَهُ عبدُ الله بن سلاّم أنَّ عَزِيْراً هو عبدٌ صالحٌ أماتَهُ اللّه مئةَ عامٍ ثمَّ بعَثَهُ للناس ليكونَ آيةً على قدرة اللّه سبحانه وتعالى في إعادة الأمواتِ وبَعْثِهِمْ، وقد حدثت قصَّتُهُ قبل قصّةِ أصحاب الكهف بسنواتٍ طويلةٍ.

وممّا يذكر في خبر موتهِ وبَعْثِهِ أنَّه خرج ذاتَ يومٍ إلى ضيعةٍ له، فلمَّا حانَ وَقْتُ الظهيرةِ دَخَلَ خربةً وهو على حمارهِ ليحتمي من الحرِّ، فنزل عنه ومعَهُ سلَّةٌ فيها تين وأخرى فيها عِنَبٌ، فاعتصرَ العنبَ في قَصْعَةٍ[1] معه، ثمّ أخرج خبزاً يابساً من جيبه فألْقَاهُ في القَصْعَةِ ليبتلَّ ليأكلَهُ، ثمّ استلقى على قَفَاه وأسندَ رجليه إلى الحائط، فنظرَ إلى سقفِ تلك البيوتِ الخَرِبَةِ ورأى ما فيها وهي ثابتة على جدرانها رغم تداعيها وقد مات أهلُها وبادوا وصاروا عِظَاماً بالِيَةً فقال متعجِّباً دون أن يشُكَّ في قدرة اللّه سبحانهُ: كيفَ يُحيي اللّه هذه العِظَام بعد موتها[2]؟!

فبعث اللّه مَلَكَ المَوتِ فقبضَ روحَهُ، فأماتَهُ مئةَ عامٍ، فلمَّا أتتْ عليه مئةُ عامٍ، وقد حدثتْ أمورٌ كثيرةٌ في قومه بني إسرائيل في تلك الفترة الطويلةِ، أرسلَ اللّهُ مَلَكاً إلى عَزِيْر، وقد صارت عظامُه باليةً فَخَلَقَ قلبَهُ وعينيه ليعْقِلَ وينظر كيف

---

(1) القَصْعَةُ:إِنَاءٌ يُوضَعُ بهِ الطّعَامُ، أصغَرُ من الطنجرةِ يُصْنَعُ مِنَ الألمينيوم أو النحاس.

(2) قَالَ تَعَالَى:(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **{259}**) سورة البقرة .

يُحييه اللّهُ، ثمَّ جمعَ اللّهُ عظامَهُ وكَسَاها لَحْمَاً وشعراً وجلداً، ثمّ نفخ فيه الروحَ، كلُّ ذلك و عَزِيْرٌ يرى ويعقلُ، فاستوى بعدها جالساً فقال الملاكُ له: كم لبثْتَ؟

قال: لبثتُ يوماً أو بعض يومٍ، وذلك أنَّ اللّه سبحانه أماتَهُ عند الظهيرة وبعثَهُ في آخر النهار والشمس لم تَغِبْ، فقال له المَلاكُ: بل لبثْتَ مئةَ عامٍ، فانظرإلى طعامِكَ وشرابكَ (الخبز اليابس، وعصير العنب).

فنظر فإذا هما على حالهما لم يتغيَّرا. ومازال التين والباقي من العنب غضَّين، فأنكر عَزِيْرفي قلبه، فقال له: أأنكرتَ ما قلتُ لكَ؟ انظر إلى حمارِكَ.

فنظر فإذا عظامُه قد بليَتْ وصارت نَخِرَةً، فنادى المَلَكُ عظامَ الحمار فأقبلتْ من كلّ ناحيةٍ، ثمّ ألبَسَها العروقَ والأعصابَ ثمّ كَسَاهَا اللحمَ ثمّ أنبتَ عليها الجِلدَ والشعْرَ، ثمّ نفخَ فيه المَلَكُ فقام الحمارُ رافعاً رأسَهُ وأذنيه إلى السماء ناهِقاً يظنُّ القيامةَ قد قامتْ، كلُّ هذا وعَزِيْر ينظرُ بعينيه ويرى قدرة اللّه سبحانه فقال له المَلَكُ: أرأيتَ قدرة اللّهِ كيف جمع عظامَ حمارِكَ وركَّبها ثمَّ كَسَاهَا لحماً، مثلما جمع عظامَكَ مثلما يجمعُ عظامَ الأَوَّلِين والآخرين يومَ القيامةِ. فقال عَزِيْر وقد آمنَ بقلبهِ أنَّ اللّه قادرٌ على كلّ شيءٍ. ثم قام عَزِيْر وركبَ حمارهُ وعادَ إلى بلدتهِ فلم يعرفْ أحداً، إذ قد تغيَّر الجميعُ، وأنكره الناسُ ولم يعرفوه إذ أنّ اللّه أماتَهُ ابن أربعين سنةٍ ولمّا بَعَثَهُ أبقاه ابن أربعين، فكان يسيرُ بين الناس دون أن يعرفهم وقد تغيروا ومات مَنْ مات، وهَرِمَ مَنْ بقي وكان طفلاً يومها فلمَّا ذهب إلى منزلهِ وجدَهُ قد تغيَّر كثيراً، ووجدَ عجوزاً عمياء قاعدةً أمامه وقد أتى عليها من العمر مئةٌ وعشرون سنةً. وكانت هذه العجوز أَمَةً[1] بنتَ عشرين عندما خرج عَزِيْر من بينهم ولم يعرفوا مكانَهُ، فقال لها: يا هذِه! أهذا منزلُ عَزِيْر؟ قالت: نعم! هذا منزله، ثمّ بكتْ وقالت: ما رأيتُ أحداً منذ فترةٍ طويلةٍ جدَّاً يذكرُهُ، وقد نَسِيَهُ النَّاسُ.

فقال: إنّي أنا عَزِيْرُ، كانَ اللّهُ قد أماتني مئة سنةٍ ثمّ بعثني فقالت: سبحان اللّه! فإنَّ عَزِيْراً فقدناه منذ مئة سنة ومنذ حينها لم نسمعْ له ذِكْراً.

---

(1) الأَمَةُ: هِيَ المَرْأَةُ أَوْ الفَتَاةُ العَبْدَةُ الرَّقِيْقَةُ الجَارِيَةُ، ضِدّ المَرْأَةُ الحُرَّة.

فقال مؤكّداً: أنا عَزِيْر حقّاً. قالت: إنَّ عَزِيْراً رجلٌ مستجابُ الدعوةِ يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فينالهما، فادْعُ اللّهَ أن يردَّ عليَّ بصري حتّى أراكَ فإن كُنْتَ عَزِيْراً عرفتُكَ.

فَدَعَا رَبَّهُ ومَسَحَ بيده على عينيها فصَّحتَا، وأخذ بيدها وقال لها: قومي بإذنِ اللّهِ. فأطْلَقَ اللّه رجليها فقامَتْ صحيحةً، فنظرت وقالت: أشهدُ أنَّكَ عَزِيْرُ. ثمّ ذهب عَزِيْرُ معها إلى مجلس القوم وفيه ابنه وقد جاوز المئة والثماني عشرة سنة، وأولادُه شيوخٌ في المجلس، فنادتِ الجاريةُ فيهم: هذا عَزِيْرٌ قد جاءكم.

فكذّبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم العمياءُ الكسيحةُ، قد دَعَا لي عَزِيْرٌ ربَّهُ فردَّ عليَّ بصري وأطلقَ رجليَّ، وهو يقول إنَّ اللّه أماتَهُ مئة سنة ثمّ بعثه. فنهض الناسُ وأقبلوا عليه ينظرونه، فقال ابنُه: كان لأبي شامةٌ (خالٌ) سوداء بين كتفيه فكشف عَزِيْرٌ عن كتفيه فرأى الجميعُ الشامةَ السوداءَ. ثمّ قال بعضهم: لم يكن فينا أحد يحفظ التوراة غيرَ عَزِيْرٍ، وقد حرق بختنصَّر التوراةَ ولم يبقَ منها شيء إلاّ ما حفظ بعضها الرجالُ، فاكتبها لنا إن كنتَ عَزِيْراً.

فقال عَزِيْر: كان أبي سروخا قد دفَنَ نسخةً من التوراة زمان بختنصَّر في مكان لا يعرفه غيري، فقوموا معي نستخرجها.

فانطلقوا معه إلى المكان، فحفره واستخرج نسخة التوراة، لكنَّه وجد الورق قد عَفِنَ وبَلِيَ الكتابُ ودَرَسَ. فقالوا بعد أن تأكَّدوا من صحَّةِ أقواله، أَمْلِها علينا ما دُمْتَ تحفظها ونحن نكتبها وننسخها ثمّ نحفظها ونصونها، فجلس عَزِيْرٌ في ظلّ شجرة وجميع بني إسرائيل حوله وأمرهم أن يحضروا أقلاماً وقراطيس وحاول أن يستجمع ذاكرته لكنَّه بَدَأ ينسَى بعضها، فناجى ربَّهُ ليسعفَهُ، فأنزل اللّه سبحانه من السماء شهابين دخلا جوفَ عَزِيْرٍ فتذكّرَ التوراة، ثمّ شرع يُمليها عليهم حتّى أتمَّها.

وقد عاش عَزِيْرٌ بين قومه شاباً ابن أربعين، وأولاده وأحفاده شيوخٌ، عاش بعد هذه الحادثة عدّة سنوات ثمّ أماته اللّهُ سبحانه في بلدة يُقال لها (سايراباذْ) ودُفِنَ فيها. وقال أبو حاتم السجستاني في خبر عَزِيْرٍ بين قومه عدّة أبياتٍ منها:

وَأسـوَدَ رَأْسٍ شَـابَ مِـنْ قَبْلِـهِ ابْنُـهُ وَمِـنْ قَبْلِـهِ ابـنُ ابنِـهِ فَهُـوَ أكَـبرُ

يَـرَى ابْنَـهُ شَـيْخَاً يَـدِبَّ عَلـى عَصَـا وَلِحْيَتُـهُ سَـوْدَاءُ وَالـرأْسُ أَشْـقَرُ

يَعُـدُّ ابنُـهُ فِي النَّـاسِ تِسْـعِين حجَّـةً وَعِشْـرِيْنَ لاَ يَجْـرِي وَلاَ يَتَبخْتَـرُ

وقد وَهَمَ بنو إسرائيل في عَزِيْرٍ وبالغوا في وصفه والحديث عنه بعد أن رأوا ما حصل معه، وكيف أملى عليهم التوراة، فقالوا أنَّه ابن اللّهِ، وذلك أنَّ نبيَّهم موسى (υ) جاء بالتوراة مكتوبة على رُقُمٍ فخَّاريَّة ولم يحفظْها، بينما عَزِيْرٌ أعادها حِفْظَاً ووَحْيَاً، وهذا وَهْمٌ وكُفْرٌ أثبَتَهُ القرآنُ الكريمُ، فعزيرُ رجلٌ صالحٌ وليس حتّى نبيّاً ألهمه اللّه الحكمةَ وأجرى قصَتَه على الألسُنِ ليكونَ آيةً للنَّاسِ وعبرةً لمن يعتبر إذ

جاء في قَولَه تَعَالَى: W

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ {30})

C سورة التوبة

11 ــ خَبَرُ سُطَيْحٍ الحَكِيْمِ

هو الربيعُ بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن الأزد، كان يسكنُ في الجابية. ويروي ابن عبّاس عن سُطَيْح فيقولُ:

«لم يكنْ شيء من بني آدم يُشبه سطيحاً، إنّما كان لحماً على وَضَم، ليس فيه عظم ولا عصب إلاّ في رأسه وعينيه وكفّيه، وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه، قدم إلى مكّة وعاش فيها حتّى مات ليلة وُلد الرسول العربي محمد(B)».

ورغم ما في هذا الكلام من مبالغة قد تبدو واضحة بقوله: (ليس فيه عظم ولا عَصَب) إذ من غير الممكن أن يكون بشري دون عظام تحملُ جسمه وأعصاب تغذي الخلايا بالأوامر العقلية، خاصة وأنّ سطيحاً كان حكيماً عاقلاً راجح الفكر ثاقب الرؤية، ولكن يبدو أنَّه كان صاحب جسمٍ ليّنٍ مَرِنٍ يستطيعُ اتخاذ وضعيات صعبة يعجز معظم الناس عن القيام بها، وهذا ما دفع بعض الناس إلى المبالغة بالوصف والكلام غير الدقيق. وعندما قَدِمَ سُطَيْح الحكيم إلى مكّة تلقّاه جماعةٌ من رؤساء قريش (عبد شمس، وعبد مناف أبناء قصي بن كلاب) فامتحنوه في أشياء كثيرة فأجابهم فيها بالصدق، فسألوه عمّا يكون في آخر الزمان فقال:

خُذُوا منّي ومن إلهامِ اللّه إيَّاي، أنتم الآنَ يا معشر العرب في زمان الهرمِ، سواءٌ بصائركم ومصائر العجمِ، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأُ من عقبكم ذَوُو فَهْمٍ، يطلبون أنواعَ العِلْمِ، فيكسرون الصَّنَم ويتبعون الروم ويقتلون العجم ويطلبون الغنم... ثمّ قال:

والباقي الأبد، والبالغِ الأمدِ ليخرجنَّ من هذا البلَدِ، نبيٌّ مهتَدٍ، يهدي إلى الرشدِ، يرفضُ يغوثَ والفند، يبرأ من عبادةِ الضدد، يعبد رَبَّاً انفرد، ثمّ يتوفّاه اللّهُ بخير دار محموداً، من الأرض مفقوداً وفي السماء مشهوداً. ثمّ أنشدَ:

عَلَيْكُم بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ والجَهْرِ وَلاَ تَلْبِسُوا صِدْقَ الأَمَانَةِ بِالغَدْرِ

وَكُونُوا لجَارِ الجَنْبِ حِصْنَاً وجُنَّةً إِذَا مَا عَرَتْهُ النَّائِبَاتُ مِنَ الدَّهْرِ

وقد وَرَدَ خبرُ سُطَيْح مع ابن اخته عبد المسيح بن عمر بن قيس الغسَّاني عندما طلبَ كسرى منه أن يعرفَ خبر ارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات وخمود النيران، وقد اهتزَّ عرش كسرى والقاعة التي يضع فيها عرشه، وسقط كثير من شُرفات قصرهِ وأطفئت النيران في المعابد الفارسية، وقد حصل ذلك ليلة مولد الرسول الكريم محمد (J)، فاستدعى كسرى عبد المسيح الغسّاني وكان في بلاط كسرى وطلب منه أن يعرفَ سبب ما حصل، فذهب إلى خاله سطيح وسأله عما حصل، فقال سطيح ((يا عبد المسيح على جملٍ مَشيح، أُتي سُطَيْح وقد أوفي على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعَتْ دَجْلَةَ وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكلّ ما هو آتٍ آت)).

وعندما عاد عبد المسيح وأخبره بكلام سُطَيْح وأنَّ مُلْك فارس سيزول بظهور نبيّ عربي، وأنّه سيكون ذلك بَعْدَ تملُّك عدد من ملوك فارس يماثل عدد شرفات قصره، أربع عشرة شُرْفَة، فاطمأنَّ كسرى لطول المدّة وأنّه دام له في ملكه عشرين سنة ولن يكون ما قال سُطَيْح إلاّ بعد مئات السنين ولكن مات كسرى ومَلَك بعده عشرةُ مُلوك في غُضُون سنتين. وقد حصل ما قاله سُطَيْح وزال مُلْك فارس بعد ظهور الإسلام.